CC BY

موقف المستشرقين من السيدة خديجة

(رضي الله عنها)

سعدي محمد علي كصبان*

تأريخ التقديم: 2022/8/21 تأريخ القبول: 2022/9/24

المستخلص:

كان للمستشرقين الأَسطر الكبرى في الكتابات عن السيدة خديجة (رضي الله عنها) لما لها من المُدَّة الطويلة التي عاشتها مع الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فضلًا عن المنزلة الرفيعة عنده فقد كانت المرأة الحنونة والزوجة الصالحة، وأُمًا جليلة لأَولاد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ إِذ انصفوها أُولئك المستشرقون في كتاباتهم؛ إِذ استسقوا تلك المعلومات من كتب السيرة النبوية والمصادر التاريخية وغيرها من الكتب كما تحدَّثوا عن حب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة (رضي الله عنها) وتفضيلها على سائر أَزواجه، وكان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يثني عليها بعد وفاتها، وكان يبر بصديقاتها وأَقاربها ومع طعن المستشرقين أُمَّهات المؤمنين (رضي الله عنهنَّ) إِلَّا أَنَّهم كانوا منصفين في مكانة السيدة خديجة (رضي الله عنها).

وقسم آخر منهم قد غالى في حقها (رضي الله عنها) بل أَنَّ قسمًا منهم افترى عليها بالكذب وكانت غايتهم الطعن بشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والدين الإِسلامي فضلًا عن أَنَّه كانت لهم نظرة اقتصادية بحته؛ إِذ نضروا إِلى أَنَّ زواج السيدة أُم المؤمنين بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كان في سبيل المصلحة والمكانة الرفيعة التي حصل عليها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في قريش، وهذا بحد ذاته كذب وافتراء من المستشرقين.

الكلمات المفتاحية: سيرة، مكانة، زوجة.

* أُستاذ مساعد/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

كان للمستشرقين الأَسطر الكبرى في الكتابات عن السيدة خديجة (رضي الله عنها) لما لها من المُدَّة الطويلة التي عاشتها مع الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فضلًا عن المنزلة الرفيعة عنده فقد كانت المرأة الحنونة والزوجة الصالحة واماً جليلة لأولاد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ انصفوها أولئك المستشرقون في كتاباتهم؛ إذ استسقوا تلك المعلومات من كتب السيرة النبوية والمصادر التاريخية وغيرها من الكتب كما تحدَّثوا عن حب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة (رضي الله عنها) وتفضيلها على سائر أَزواجه وكان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يثني عليها بعد وفاتها، وكان يبر بصديقاتها واقاربها ومع طعن المستشرقين أمهات المؤمنين (رضي الله عنهنَّ) إِلَّا أَنَّهم كانوا منصفين في مكانة السيدة خديجة (رضي الله عنها) .

وقسم آخر منهم قد غالى في حقها (رضي الله عنها) بل أَنَّ قسم منهم افترى عليها بالكذب وكانت غايتهم الطعن بشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) والدين الإِسلامي فضلًا عن أَنَّه كانت لهم نظرة اقتصادية بحته؛ إذ نظروا إِلى أَنَّ زواج السيدة أُم المؤمنين بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كان في سبيل المصلحة والمكانة الرفيعة التي حصل عليها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في قريش، وهذا بحد ذاته كذب وافتراء من المستشرقين.

1- موقف المستشرقين من مكانة خديجة (رضي الله عنها):

ويذكر المستشرقين كولونيل فيكتور بودلي في مكانة السيدة خديجة (رضي الله عنها) عند النبي (صلى الله عليه وسلم) وحيه لها (كانت بداية زواج موفقة سعيدة فقد كانت خديجة بنت خويلد تحب زوجها وتدلل به حبًا، وكان زوجها يبادلها ذلك الحب الصادق بل لعل حب زوجها لها كان اعمق من حبها له فقد كان اهتمامه

بها بفوق اهتمامه باي انسان اخر طول حياته فقد انفرد برعايته وحيه في إِحدى وعشرين سنة التي قضاها معها))[1].

ويؤكد بودلي عن صدق محبة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة (رضي الله عنها) دون النساء اللاتي تزوجهن بقوله: (ومما لا شك فيه ان نساء كثيرات كن في حياة محمد ولكنه لم يحمل لإِحداهنَّ من صادق الود والحب ما كان يحمله لخديجة)[2].

ويذكر المستشرقين اتين دينيه عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وما يحمله من حب وعاطفة اتجاه السيدة خديجة فيقول (كانت خديجة اول زوجة بنى بها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وبقيت طيلة حياتها الزوجة الوحيدة المحببة التي لا يجد غيرها إِلى قلبه سبيلاً وقد أَنجبت له سبعة أولاد ثلاثة ذكور وهم القاسم والطاهر والطيب واربع اناث رقية ، وام كلثوم ، وفاطمة[3].

كما يصف المستشرقين توماس كارليل حبه العميق للسيدة خديجة (رضي الله عنها) وهو يصف الحياة التي قضاها الرسول معها فيقول (وما الذ وما أوضح قصته مع خديجة وكيف انه يسافر في تجارات لها إِلى اسواق الشام وكيف كان ينهج في ذلك أقوم مناهج الحزم والأمانة وكيف جعل شكرها يزداد وحبها ينمو ولما زوجت منه كانت في الأربعين وكان هو في الخامسة والعشرين وكان لا يزال عليها مسحة من ملاحه ولقد عاش مع زوجته هذه على اتم وفاق والفة وصفاء وغبطة يخلص لها الحب وحدها)[4].

(1) بودلي ، الرسول محمد ، ترجمة محمد فرج جواد السحار ، الكتاب العربي بمصر مطبعة ملكية مصر ، ص63.

(2) بودلي ، الرسول محمد ،لاص78.

(3) اتين دينيه، محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، مكتبة الايمان ،ص71.

(4) توماس كارليل، الابطال، ترجمة محمد السباعي، مكتبة مصر ط3 ،ص69.

كما ذكرت المستشرقة ارمسترونج مقام السيدة خديجة (رضي الله عنها) من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فتقول (لقد كانت اقرب رفيق لمحمد ولم يستطع أَحد حتى أَبو بكر أَو عمر أَن يقدِّم ما قدمته خديجة)[1].

وذكر الذهبي في كتابه (كانت أُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) نعم القرين للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فوجد لفقدها)[2].

يذكر المستشرق اميل درمنغم بأَنَّ محمد (صلى الله عليه وسلم) شعر بالحنين إِلى أُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) وتلهف على الأيام التي قضياها معًا؛ إِذ يقول: (ومن المحتمل أَنَّ محمدًا سيتحسر بين نعيم الحريم من نسائه الاثنتي عشرة اللاتي تزوجهن أَمَّا عن حب وأَمَّا عن سياسة وعلى ما كان يلاقيه من الهنا من منزل خديجة ذات الحلم والدعة)[3]، وسيدخل بعدها في حياته (صلى الله عليه وسلم) نساء ذوات عدد لكن مكانها في قلبه وسيضل أَبدًا مخلصًا لهذه الزوجة التي انفردت به (صلى الله عليه وسلم) وبيته ولم تشركها أُخرى فيه ولم يلم في افقه ظل شريكة سواها[4].

أَمَّا المستشرق ارفنج فيذكر ما نقله عن الذهبي: (وعلى الرغم من شباب السيدة عائشة (رضي الله عنها) وجمالها لم تستطيع ان تزيل محبة محمد لخديجة) قالت عائشة عن خديجة يماً للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر أَبدلك الله خيراً منها فغضب الرسول وقال (والله ما أَبدلني خيرًا منها آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني؛ إِذ كذبني الناس وواستني؛ إِذ حرمني الناس ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء)[5].

---

(1) كارين ارمسترونج ، محمد نبي لزماننا، ترجمة فاتن الزلباني، مكتبة الشروق ط1،ص82.

(2) الذهبي شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز ، سير اعلام النبلاء، (القاهرة ، 2006) 5 ، 326.

(3) اميل درمنغم ، حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، ط ، ص169.

(4) اميل درمنغم ، حياة محمد ،ص168.

(5) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ط2 ، ص112.

ويذكر المستشرق سفاري في زعمه بأَنَّ حب النبي لخديجة كان سبب الثراء حين يذكر (لقد أَثرى هذا الزواج محمداً لكنه لم يفقده توازنه ولقد احب النبي (صلى الله عليه وسلم) طوال حياته المرأة التي كانت سبباً في ثرائه)[1].

لقد تمادى سفاري وافترى في قوله: إِنَّ المال وحده هو الذي جذب النبي (صلى الله عليه وسلم) وجعله يحب خديجة (رضي الله عنها)، وإِنَّما كان حب النبي (صلى الله عليه وسلم) لخديجة إِيمانها ببعثته (صلى الله عليه وسلم) وبالولد منها وجمالها وشخصيتها وحسن خلقها ورجاحة عقلها وبدليل أَنَّه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يتزوج غيرها في حياتها، ولم يرضَ أَن تكون لها شريكة في حياتها، بل أَنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) انفرد بها طيلة حياتها وذكر في صحيح البخاري ومسلم أَنَّه قال (صلى الله عليه وسلم): (إِني رزقت حبها)[2].

كما ذكر في صحيح البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت (ما غرت على احد من نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) ما غرت على خديجة وما رايتها ولكن كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكثر ذكرها وربما ذبح الشاه ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كان لم يكن في الدنيا امرأة إِلَّا خديجة فيقول إِنَّما كانت وكانت وكان لي منها ولد[3].

(1) سفاري ، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقين ، ترجمة محمد عبد العظيم ، تحقيق عبد المتعال الجبري دار الدعوة ط1 (دن ، 1414 هـ) ،ص42.

(2) البخاري محمد بن اسماعيل ابو عبدالله، صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من امور النبي (صلى الله عليه وسلم) وسننه وايامه ، دار طوق النجاة ، ط ، 1422 هـ ، 2432 ، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر ينقل العدل في العدل الى رسول الله 2222 تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، دم) رقم الحديث 2435.

(3) البخاري 2432 ، مسلم ، رقم الحديث.

وذكر القرطبي كان حبه (صلى الله عليه وسلم) لها لأسباب كثيرة كل منها كان سبباً في إيجاد المحبة ومنها الولد([1]) ويشير المستشرق بودلي فضل السيدة خديجة في دعوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتبليغ رسالته إلى الأُمَّة إلى خديجة (رضي الله عنها) فيذكر في ذلك (فإنَّه بفضلها قد حدث كل هذا وأَنَّه بفضلها كان كل ما كان وبقي محمد مدة طويلة لا يتحرك وما تحرك (صلى الله عليه وسلم) كان على ثقة من أَنَّ هذه المرأة التي احبها قد عرفت أَنَّها المرأة الوحيدة التي كانت تعينه دوماً على الرغم من أي مظهر من مظاهر التي تدل على نقيض ذلك)[2].

ولقد تمادى المستشرق بودلي في هذا الأَمر وكأنَّه فضل السيدة خديجة على النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (وبقى محمد مدة طويلة لا يتحرك وما تحرك حتى كان على ثقة من هذه المرأة)؛ إذ إنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قام في تبليغ الرسالة بأمر من الله عز وجل ولم يتأنَ أَو ينتظر حتى يثق بهذه الزوجة، وما يؤكده القران الكريم في سورة المدثر: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)[3].

إلَّا أَنَّنا لا ننكر فضل السيدة خديجة (رضي الله عنها) في إعانة النبي (صلى الله عليه وسلم) في طمأنته وتثبيته واعانته على نشر الدعوة، وكان خير دليل على ذلك موقفها من الوحي ومن البعثة لكن المستشرق بودلي قد غالى في ذلك كما ذكر.

ومن محبة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة (رضي الله عنها) ومكانتها عنده انه لم يأتِ بزوجة ثانية على السيدة خديجة (رضي الله عنها) حتى توفيت فعن عروة عن أُم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (لم يتزوج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على خديجة حتى ماتت)[4].

---

(1) القرطبي، ضياء الدين احمد بن عمر بن ابراهيم ابو العباس (ت 656هـ-1258م)، الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام، ص 186 ؛احمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة (بيروت ، 1379هـ) ص7 ، ص137.

(2) بودلي ، الرسول محمد ،ص393.

(3) سورة المدثر الاية 1، 5.

(4) مسلم ، صحيح مسلم ، 3436.

وذكر ابن حجر (وهذا مما لا اختلاف فيه بين اهل العلم بالأخبار وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها؛ لأَنَّها أَغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك في غيرها مرتين؛ لأَنَّ (صلى الله عليه وسلم) عاش بعد ان تزوجها ثمانية وثلاثون عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع ومع طول المدة فصانت قلبها فيها من الغيرة ومن نكد القرار الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها[1].

وبجمع المستشرقين عن اكرام محمد (صلى الله عليه وسلم) لأُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) وانفرادها به (صلى الله عليه وسلم) وما يوافق في كتب السيرة النبوية وكتب المحدثين؛ إِذ يقول المستشرق بودلي، (ولم تشاطر قلبه امرأة أُخرى مع أَنَّه كان من المألوف في بلاده تعدد الزوجات ومهما قيل في حياة محمد العاطفية فقد كانت خديجة المرأة الأولى والأخيرة في الحياة)[2].

ويمل حديثه قائلاً (وكانت خديجة سعيدة جداً فقد كان حنان محمد يزداد على الأيام ولم يتغير تقديره لها فضل كما كان ليلة زواجه الأولى من أَساء اليها بإِشراك زوجة أخرى معها في حياته وما كانت خديجة لتعرف على التحديد ما يدور بخلد زوجها ولكنها لم تثقل عليه بالسؤال ولم تشغل بالها بذلك[3].

ولم يتزوج الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) سوى خديجة طوال حياتها التي عرف عنها علو المكانة في المجتمع وقد استعان الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمال خديجة في جهاده علماً ان شخصية خديجة كانت فيما يظهر ذات أَثر عميق في حياة زوجها[4].

(1) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، 7 / 133.

(2) بودلي ، الرسول محمد ،ص63.

(3) بودلي ، الرسول محمد ،ص69.

(4) احمد الشنتناوي واخرون ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ط ، مركز الشارقة للأبداع الفكري ، ص4572.

وكان السبب في عدم اشراك الرسول (صلى الله عليه وسلم) خديجة بزوجة ثانية كما يذكر المستشرقون اتين دينيه كان سبب ذلك فيقول (كانت خديجة في نفس محمد (صلى الله عليه وسلم) جاذبية قوية لطيفة فلم يشرك معها غيرها طيلة حياتها ورغم انه كان في ريعان شبابه فأنه لم يقبل الزواج بأخرى مع أَنَّ التقاليد كانت تسمح بذلك ومع أَنَّ الأسباب من التي جاءت كانت تمهد له وتغري به)[1].

وقد أَجمع المستشرقون أَن بواعث الزواج مهيأة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد كان تعدد الزوجات في البيئة التي عاش بها النبي (صلى الله عليه وسلم) مقبولًا فضلًا عن الأعراف والتقاليد التي كان معمولًا بها هو تعدد الزوجات، وأَنَّ السيدة خديجة (رضي الله عنها) كانت أَكبر سنًا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إِلَّا أَنَّه لم يثنه هذا عن الوفاء للسيدة خديجة (رضي الله عنها) وحسن العشرة والمودة لها وقد أَكَّد المستشرق سفاري بقوله (وبقدر ما عاشت معه قام قانون بلاده الذي كان يبيح له الزواج بأكثر من واحدة فإِن الرفاء لم يغير قلبه)[2].

وتضيف المستشرقة امسترونج بقولها: (أَحبَّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) خديجة ولم يتخذ زوجة أخرى شابة معها مع ان ذلك مقبولاً في أَعراف العرب)[3] ويؤكِّد المستشرق اميل درمنغم قوله: (ظل وفياً لخديجة ربع قرن مع أَنَّها أَكبر منه سناً وهذه خديجة بدت عاملة له بكل ما تقوم به النساء مجتمعات فكانت له زوجة والمحبة والام والصديقة والنجية والكاشفة للغم)[4].

ويؤيد المستشرق واشنطن ارفينج بقوله: (رغم أَنَّ خديجة كانت أَكبر سنًا من محمد الذي كان في ريعان الشباب وبرغم انه كان من عادة العرب تعدد الزوجات فقد ظل محمد زوجاً مخلصاً لها إِلى اللحظة الأخيرة فلم يقبل الزواج بأُخرى)[5].

---

(1) اتين دينيه ، محمد رسول الله ،ص105.

(2) سفاري السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، ترجمة محمد عبد العظيم ، دار الدعوة (دن ، 1414هـ) ص42.

(3) كارين امسترونج ، محمد نبي لزماننا ، ترجمة فاتن الزلباني ، ط1 مكتبة الشروق ،ص37 .

(4) بودلي ، حياة محمد ،ص69.

(5) واشنطن ارفينج محمد وخلفاؤه، ترجمة هاني محمد ط1 مكتبة الدار الثقافي العربي ،ص91.

ويتابعه المستشرق مونتجمري وات بقوله: (ولم يتخذ محمد اي زوجة أخرى عندما كانت خديجة على قيد الحياة)[1].

إذ كانت للسيدة خديجة (رضي الله عنها) مكانة خاصة عند النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن هشام عن ابيه قال سمعت عبدالله بن صخر يقول سمعت عليًا بالكوفة يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد)[2]، وعن عباس (رضي الله عنه) قال خط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الأرض أربعة خطوط قال: (تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله اعلم فقال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران)[3] كما دون غوستاف لوبون عن كمالها فقال: (خديجة هي ثالث نساء العالم الأربع الكاملات)[4].

ويذكر اتين دينيه من فضل السيدة خديجة عن بقية النساء ويقول: (ورغم جمال عائشة وذكائها وما تحلت به زوجاته الاخريات من جمال وفطنة فأنه كان دائماً يفضل السيدة خديجة عليهن ويعدها واحدة من أَربع نساء هنَّ أَكمل من وجد على ظهر هذه البسيطة، أَمَّا الثلاث الأُخريات فهنَّ آسيا امرأة فرعون الذي أَنقذت موسى ومريم أُم عيسى وفاطمة الزهراء بنت محمد من خديجة)[5].

(1) مونتجمري وات، محمد النبي ورجل دولة، ترجمة حمود صمود ط1 دار التكوين (دن، 2014) ص102.

(2) البخاري، صحيح البخاري 6،34؛ مسلم، صحيح مسلم 7،221.

(3) البخاري، صحيح البخاري 3232 مسلم صحيح مسلم 4،1886.

(4) غوستاف ،حضارة العرب، ترجمة عادل الزعيتر ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،105.

(5) ايتن دينيه، محمد رسول الله ،ص105.

ويضيف إلى ذلك المستشرق بودلي قائلاً: (ان محمد ليضع خديجة دائماً في مكانة خاصة تختلف عن مكانة هؤلاء الفتيات اللاتي كن يجلبن السرور اليه ويسلينه فقد كان يهتم بأقاربها ويثير عائشة بقوله ان خديجة خير نساء العالمين)[1].

لم يفرق المستشرقين بين الزوجات والفتيات فإنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قد تزوج اكثر من واحدة وهن كن يجلبن السرور إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لكن الرسول يضع السيدة خديجة في مكانة خاصة بين تلك الزوجات وكان يهتم بأقاربها فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: جاءت عجوز إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو عندي فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من أَنتِ؟ قالت: أَنا جثامة المزنية، فقال: بل أَنتِ حسانة المزنية، كيف أَنتم ؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أَنتَ وأُمي يا رسول الله، فلمَّا خرجت قالت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال: إنَّها كانت تأتينا زمن خديجة وأَنَّ حسن العهد من الإيمان؛ إذ ظلت أُم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) حبيبة إلى قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى بعد وفاتها وظل وفياً لها ولأصدقائها[2].

وقد برَّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أقارب السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)؛ إذ تذكر أُم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت استأذنت هالة بنت خويلد اخت خديجة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعرف استئذان خديجة فارتاع[3] لذلك فقال: (اللهم هالة) قالت: فغرت فقلت ما تذكرت عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد ابدلك الله خير منها)[4].

---

(1) بودلي الرسول محمد 307

(2) الالباني، أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن ادم الاشقودري سلسلة الاحاديث الصحيحة مكتبة المعارف (دن، الرياض) ط1 ، ص424 .

(3) فأرتاع، تغير واهتز بذلك ارتاع للخير وارتاح له بمعنى واحد، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب ، دار صادر (بيروت 1414)، 8 ، 137.

(4) البخاري، صحيح البخاري 1828، مسلم صحيح مسلم 2437.

وأَخرج البخاري في صحيحه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت ما غرت على أَحد من نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها ثم يبعثها في صواحب خديجة فربما قلت له كأنَّه لم يكن في الدنيا امرأة إِلَّا خديجة فيقول: إِنَّما كانت وكانت وكان لي منها ولد)[1].

وذكر النووي[2] في هذه الأَحاديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمها لصاحب والمعاشرة حياً وميتاً وإِكرام معارف[3] .

ويذكر المستشرق توماس كارليل (ما انفك محمد يذكر خديجة حتى لقي ربه حتى أَنَّ عائشة زوجته الصغيرة المحبوبة تلك التي اشتهرت بين المسلمين بجميع المناقب والفضائل طوال حياتها هذه السيدة البارعة الجمال والفطنة سألته ذات يوم الستَ الآن أَفضل من خديجة لقد كانت أَرملة مسنة قد ذهب جمالها وأَراك تحبني أَكثر مِمَّا كنت تحبها فأجاب محمد كلا والله لست أَفضل منها وكيف وهي التي آمنت بي والكل كافر ومنكر ولم يكن لي في هذا العالم إِلَّا صديق واحد وهذا الصديق هي)[4] .

وتكلم المستشرق اتين دينيه عن ثناء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لخديجة فيقول: (وإِذا كانت قد فارقته فإِنَّ ذكراها دائمًا كانت على لسانه رغم أَنَّ السيدة عائشة أصبحت زوج النبي الرسول (صلى الله عليه وسلم) المفضلة دون النساء الأُخريات تجد لذع الغيرة وتحس به في قسوة) وتقول: (لم تستول على قلبي الغيرة من أي واحدة من زوجات الرسول سوى خديجة رغم إِنِّي لا أَعرفها ورغم أَنَّها ماتت قبل زواجي بزمن إِلَّا أَنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يردد دائمًا ذكراها

(1) البخاري، صحيح البخاري 1818، مسلم صحيح مسلم 2435.

(2) النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف الحزامي (631هـ-1233م) (676هـ-1277م) ، شرح الاربعين النووية تحقيق: علي احمد عبد العال، دار الكتب العلمية (بيروت، 1971)، ص146.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري 7 ،137.

(4) توماس كارليل، محمد المثل الاعلى ، ترجمة محمد السباعي، مكتبة الأداي (دن ،القاهرة)، ص75.

ويحفظها حينما ينحر خروفاً بجزء كبير لصديقات خديجة وقالت له مرة يظهر أَنَّه لم يوجد في العالم من النساء غير خديجة فأخذ مباشرة في تعداد فضائلها وأَعلن أَنَّ لها في الجنة بيتاً من اللؤلؤ تنعم فيه بما تريد ودخلت عليه هالة بنت خويلد ذات يوم فعرف لهجتها وحديثها لهجة خديجة وحديثها فأثار ذلك في نفسه الشجن فلم اتمالك نفسي من الغيرة وقلت حانقة مالك تثير دائمًا ذكريات عجائز قريش ذوات الأَشداق الحمراء والأَسنان الساقطة والوجه الذي ذهبت بنضارته السنون الم يعوضك الله خيراً منها)[1].

وتقول كارين امسترونج في فضل خديجة (رضي الله عنها) وغيرة أَزواجه (صلى الله عليه وسلم) منها: (لقد كانت أَوَّل من اكتشفت أَصالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ولأَنَّه فقد أُمَّه مبكراً فقد أَخلص لها العاطفة واعتمد على تضحيتها ودعمها وبعد موتها كانت زوجاته يغرن من كثرة حديثه عنها)[2].

أَمَّا ول ديورانت فيقول: (وكانت وقتئذ ارملة غنية وكانت سيدة طيبة وزوجة صالحة وتاجرة بارعة ظلت وفية لمحمد في ظروف حياته الروحية وظل يذكرها بعد وفاتها انها خير نسائه كلهن)[3].

ومن فضلها ومنزلتها أَنَّ الله بشرها ببيت في الجنة فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: (اتاني جبريل فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء في ادم أَو طعام أَو شراب فاذا هي اتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صحب فيه ولا نصب)[4].

---

(1) اتين دينيه، محمد رسول الله ، ص105.

(2) كارين امسترونج، محمد نبي زماننا ، ص38.

(3) ول يورانت، قصة الحضارة ترجمة زكي نجيب محمود واخرون دار الجيل (بيروت 1988)، ص22.

(4) البخاري، صحيح البخاري ط5 39 ، مسلم، صحيح مسلم 2432.

وذكر ابن القيم (ارسل الله اليها السلام مع جبريل وهذه خاصته لا تعرف لامرأة سواها)[1]، وذكر ابن حجر (قيل انما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي (صلى الله عليه وسلم) احتراماً للنبي (صلى الله عليه وسلم) وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي (صلى الله عليه وسلم)[2].

وأَخرج مسلم في صحيحه عن هشام بن عروة عن أَبيه عن عائشة قالت: (بشر رسول الله (صلى الله عليه السلام) خديجة بنت الخويلد ببيت في الجنة) وذكر ابن حجر قوله: (وأَمره الله أَن يبشرها ببيت في الجنة)[3] من جملة أسباب غيرة عائشة (رضي الله عنها)؛ لأَنَّ اختصاص خديجة بهذه البشرى مشعر بمزيد محبة من النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها)[4].

ويكاد يجمع المستشرقين أَنَّ هذه الفضيلة التي اختصت بها السيدة خديجة خففت من حزن النبي (صلى الله عليه وسلم) كما يروي المستشرق ارفنج؛ إِذ يقول: (حزن محمد على وفاة خديجة وارتدى ثياب الحداد عليها وعلى عمه أبو طالب وسمي ذلك العام بعام الحزن ولم يخفف من حزن النبي محمد كما يقول أبو هريرة إِلَّا حينما أَكَّد جبريل له أَنَّ خديجة سيكون لها بيت في الجنة من فضة جزاء لها على صدق إِيمانها وتضحيتها في سبيل الإِسلام)[5].

ويتكلَّم المستشرق أَميل درمنغم فيقول: (وفقد محمد بوفاة خديجة التي كانت أَوَّل من علمت أَمره تلك التي لم تكفِ عن إِلغاء السكينة إِلى قلبه تلك التي كانت تشمله بحب الأزواج وحانا الأمهات تلك التي طلبت من جبريل ذات مرة ان يبلغها

(1) ابن القيم الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، مكتبة المنار الاسلامية (الكويت 1994) ط1 ، ص102.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ط7 ، 139 .

(3) مسلم، صحيح مسلم، 3423.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صخيخ البخاري ، ط7،136.

(5) واشنطن أرفنج، محمد وخلفاءه، ص 91.

بقوله بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب تلك التي بلغت الستين من عمرها فلم يفكر في الزواج بغيرها ما دامت حبه بل بقي اية الوفاء لها)[1].

قالت نالت أُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) مكانة في قلب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) واعتلت منزلتها في المحبة والفضل وكانت رفيقة القدر في نفس الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد قدمت السيدة خديجة (رضي الله عنها) الكثير من نفسها ومالها وصبرها وكانت افضل زوجة للنبي في حياتها وبعد مماتها فقد ذكرها في قلبه وبعض احسانه ووده لها بعد موتها فكان عليه الصلاة والسلام يذكرها دائماً ويتصدق لها بعد مماتها ويحسن إلى اختها وصديقاتها (رضي الله عنها).

2- موقف المستشرقين من تجارة خديجة (رضي الله عنها) وأثره على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).

موقف المستشرقين من تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) وأثره على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت منطقة مكة من أشد المناطق جذباً فقد ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾)[2] إذ أنَّ أغلب أهلها عملوا في التجارة وكانت قوافلهم تسير باتجاهين رحلة إلى اليمين ورحلة إلى بلاد الشام فكانت القوافل التجارية تذهب للبحث عن منتجاتها فيبتاعون منها ثم يعودون إلى مكة ويضيفون إليها التمر وثمار الطائف ثم يسيرون بالقوافل إلى بلاد الشام ليستبدلوا ببضاعتهم الزراعية وقد ذكرها الله تعالى في كتابه (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[3] ولم تكن نساء قريش بمعزل في هذه التجارة فقد كنَّ يخترنَ من يخرج

(1) أميل درمنغم، حياة محمد 154.

(2) سورة إبراهيم الآية 37.

(3) سورة قريش الآية 1-4.

بقوافلهن من الرجال للإتجار لما لهن مقابل جزء من الربح وهكذا كانت السيدة خديجة (رضي الله عنها) ذات ثراء واسع فضلًا عن الحسب والشرف والنسب النبيل فقد كانت حريصة على تجارتها فتختار أفضل الشركاء لها في تجارتها مقابل شيء من الربح.

فقد نالت السيدة خديجة (رضي الله عنها) في تجارتها جانباً مميَّزًا في كتابات المستشرقين وكانت في رأيهم أثر على ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأوصلته إلى اجتماعية مرموقة بين قومه.

إذ ذكر المستشرقين عن السيدة خديجة (رضي الله عنها) إنَّ تجارتها ومواصلتها في العمل التجاري حتى بعد زواجها من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) واتفاقها معه بأن يكون وكيل لتجارتها ويتولى أمرها.

فيذكر المستشرق سفاري (كانت خديجة أرملة غنية ونبيلة وكانت مثل محمد من قبيلة قريش الشهيرة، وكانت لها تجارة واسعة تشعر بأَنَّها بحاجة إلى رجل ذكي تولى ادارتها فوقع نظرها على محمد عرفت عليه امتيازات كبيرة إذا ما قبل إدارة اعمالها فوافق بدون شروط)[1] .

ويتكلم المستشرق كارل بروكلمان عن أصل تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها)، وكيفية حصولها على الأَموال وممارسة التجارة فيذكر: (كانت خديجة ثيب غنية تستقل تجارتها إذ ورثتها من زوجين سابقين ذلك أنَّ نساء العرب في الجاهلية والمستقلات منهن اقتصادياً بصورة خاصة كن يتمتعن بحرية أوسع بكثير من التي تتمتع بها النساء في العهود التولي)[2].

ويقول المستشرق أميل درمنغم عن تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) في نمو هذه الثروة في مجال التجارة حتى أصبحت من أغنى أهل مكة (كانت خديجة الأيم ذات ثراء بعد أن تزوجت مرتين من بني مخزوم الأغنياء وكانت تدير شؤونها

(1) سفاري، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ص40.

(2) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين زعيتر البعلبكي، ط1 (دار العلم للملايين، ص33.

بنفسها وكان يساعدها في ذلك أبوها خويلد وبعض الرجال الأمناء وصار محلها التجاري من أهم بيوت مكة التجارية التي هي بندقية الصحراء)[1].

أَمَّا المستشرق بودلي فإِنَّه يعطي تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) صورة أكبر؛ إِذ يصف تجارة السيدة خديجة أشبه بالمؤسسة التجارية الكاملة فيقول: (اشتغلت خديجة بالتجارة واتسعت تجارتها على مر السنين فقد أُتيحت لخديجة وسائل جديدة في تجارتها فكانت تزود التجار القرشيين الذين يعتمد عليهم بالمال فكانت تشاركهم بذلك تجارتها وأخذت تنال الأرباح بنسبة ما تمدهم به وشاركت في القوافل فنالت حصصها من الأرباح بنسبة مشاركتها وبذلك جعلت خديجة عملائها في المدن وفي الطرق يهتمون بأمر مشروعاتها فقد وجدوا أنفسهم مدينين لها وشركاء في نفس الوقت وقد كان الجميع من الرئيس إِلى المراقبين والمحاسبين إِلى أقل جمال في القافلة يعملون على نجاح هذه التجارة التي لها فيها نصيب).[2]

ومن كتابات المستشرق بودلي وما تكلم عن تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) هذا السرد ما هو إلا من خياله وما أراده هو جذب القراء لما يكتب عن السيرة النبوية وهو غير صحيح على الإطلاق فقد بالغ بشكل كبير، وبهذا العرض إنما ما موجود في كتابات السيرة النبوية في المصادر العربية لم تذكر هذا.

ويكمل المستشرق بودلي عن تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) ومواصلتها حتى بعد الزواج من النبي محد (صلى الله عليه وسلم) إِذ يقول: (لم يؤثر زواج محمد من خديجة في حياته مباشرة فقد استمر في تصريف تجارة زوجته ولم ينقطع عن الخروج في قوافلها وقد تمت أَطول رحلاته عقب زواجه فقد تغلغل في آسيا الصغرى وعلى الرغم من كل ذلك لم تتقدم أَعمال خديجة التجارية بل على النقيض من ذلك فقد انحدرت نوعاً ما غير أَنَّه لم تكن هناك خسائر جسمية فظلت

(1) أميل درمنغم، حياة محمد، 61.

(2) بودلي، الرسول محمد 55-56.

خديجة محتفظة بمنزلها فكانت أَغنى المكيين ولكن انحدرت شوكة تجارتها أَو اقل ان محمد فقد سطوته فقد تحول قلبه عما كان يفعله؛ لأَنَّه وجب عليه أَن يفعله)[1].

وهنا أَيضًا قد بالغ المستشرق بودلي في هذا الكلام وخاصة في قوله: (لم ينقطع عن الخروج في قوافلها وقد تمت أطول رحلاته عقب زواجه فقد تغلغل في آسيا الصغرى) والمصادر التاريخية وكتب السيرة النبوية لم يذكر ذلك من قريب أَو بعيد عن هذه الرحلة أَو مراحل التجارة بعد زواج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من السيدة خديجة (رضي الله عنها) ولاسيَّما أَنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ذهب في تجارة إِلى آسيا الصغرى أَو أي مكان آخر بل أَنَّه تحدث بالكذب أَيضًا عندما قال: (انحدرت تجارة خديجة نوعاً ما)، وهذا أَيضًا افتراء على تجارة خديجة (رضي الله عنها) ولاسيَّما أَنَّ التجارة كانت بيد رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) يتاجر بها وهو الصادق الأمين وكانت تربح بالتجارة مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أَضعاف مضاعفة عمَّا كانت تجنيه مع غيره، والرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يخرج في تجارته التي كان يخرج لها ويشتري ما أراد ان يشتري ثم اقبل قافلاً إِلى مكة ومعه ميسرة خادم السيدة خديجة (رضي الله عنها) فلمَّا عاد إِلى مكة وما يحمله من تجارة اخذت السيدة خديجة مالها وباعت ما جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فأضعف المال أَو قريب[2].

واكد المستشرق اتين دينيه على هذا الكلام في تجارة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خديجة (رضي الله عنها) في مالها؛ إِذ يقول: (لما رأت أُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) بركة يد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في مالها وتجارتها وضاعفت له اجره وذلك بسبب الأرباح التي جنتها على يديه

(1) بودلي، الرسول محمد ،ص64.

(2) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحبيري المعفري، السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا واخرون ط2 (مصر 1955) ط1،ص88.

الشريفتين ثم فكرت ان يكون وكيل لتجارتها وإذ لم تعد تفكر الا في جعله المشرف الأعلى على ثروتها فرأت ان خير طريقة لذلك هي ان تتزوج به)[1].

وقد افترى بعض المستشرقين أَنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) حصل على مكانة رفيعة بين قومه بعد زواجه من السيدة خديجة (رضي الله عنها) بفضل الأموال التي حصل عليها من ذلك الزواج فضلًا عن حسبها ونسبها، وأَنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لولا تلك الأموال لبقي فقيراً معدماً لا يملك أي شيء وانه عاش يتيماً ولبقي فقيراً لأنه لم يورث شيء من والديه فيفضل ذلك الزواج الذي استطاع الحصول على الثروة الكبيرة واصبح له مكانة في مجالس قريش[2].

ويذكر المستشرق جون جلوب أَنَّ ثراء أُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) حرر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من الفقر وجعل له مكانه اجتماعية مرموقة وحرر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من العوز واتاح له المجال لاحتلال مركز اجتماعي مرموق في مجتمع مكة الذي كان يقدر الثراء [3].

ويتابع المستشرق سفاري في قوله: (لقد اثرى هذا الزواج محمد لكنه لم يفقد توازنه ولقد احب طوال حياته المرأة التي كانت سبباً في ثرائه)[4] ويتحدث المستشرق ارفنج عن تجارة خديجة (رضي الله عنها) فيقول: (إِنَّ تجارة خديجة جعلت الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرتقي إِلى طبقة الأغنياء وصار محمد بعد زواجه من خديجة واحد من بين المواطنين الأثرياء كما أدت اخلاقه النبيلة إِلى بروزه في المجتمع[5].

بينما يتكلم المستشرق مونتجمري وات عن تجارة خديجة (رضي الله عنها) فيقول من وجهة نظر المجتمع المكي كان محمد عليه السلام قد وضع قدمه على أَوَّل درجه على الأقل من درجات النجاح الدنيوية وربَّما لم تكن خديجة (رضي الله عنها)

---

(1) اتين دينيه، محمد رسول الله ،ص96.

(2) سعد عبدالله الماجد، موقف المستشرقين من الصحابة (دن، 1425هـ) ،ص521.

(3) جون جلوب، القومات الكبرى، تعريب خيري حماد (مصر، دن) ،ص59.

(4) سفاري، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، ص42.

(5) أميل درمنغم، حياة محمد ،ص49.

من الثروة كما يقال عنها أَحيانًا، ولكنَّنا نستطيع أَن نفترض أَنَّ محمد عليه الصلاة والسلام منذ صار لديه رأس مال يكفيه للحصول على نصيب متوسط من الأَعمال التجارية[1] ويذكر أَيضًا لا يعني عدم وجود أَخبار عن أَنَّه سافر إِلى الشام مرة ثانية إِنَّه لم يذهب مع الوضع بالاعتبار أَنَّه من الممكن دائمًا أم يكلف ذلك من المحتمل أَنَّه لم يستعبد تمامًا؛ لأَنَّه كان قادراً على أَن يزوج ابنته زينب لأَحد أَفراد عشيرة عبد شمس هو ابن أُخت خديجة (رضي الله عنها) التي لا شك في أَنَّه كان لها دور بارز في هذه الزيجة[2].

بينما يذكر المستشرق أَميل درمنغم عن فضل تجارة خديجة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ورفع مكانته في قومه؛ إِذ يقول وداومت خديجة على إدارة ثروتها مع القيام بأمور زوجها المعاشية وعلم أَمر محمد أَكثر ما كان عليه في جمهورية مكة التجارية التي تقاس أهمية الناس فيها بما عندهم من المال، وقد خلقه مع ذلك فلقب بالأمين وبقي مع ذلك ذا شأن ثانوي فلم يفكر في رفعه إِلى مصاف وجوه قريش ولكن حدث ذات يوم ما برز به على ما روي[3] وهذا افتراء على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنَّ التجارة والأَموال هي التي أَعطته مكانة اجتماعية في مكة وأَنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كان ذا حسب ونسب بين قومه وخير دليل على ذلك سؤال قيصر ملك الروم لأبي سفيان عندما ذكر عن نسب الرسول ومكانته بين قومه[4].

وإِنَّ المستشرقة كارين امسترونج رأياً مناقضاً لآراء المستشرقين الآخرين وذلك بنفيها منفعة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من تجارة خديجة (رضي الله عنها)؛ إِذ تقول: أَثار نقاد محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن ذلك كان زواج منفعة

(1) مونتجمري وات، محمد النبي ورجل دولة ، ص100.
(2) مونتجمري وات، محمد النبي ورجل دولة ، ص100.
(3) اميل درمنغم، حياة محمد ،ص64.
(4) للمزيد عن الحديث بنظر صحيح البخاري، 1، 16-17.

ولكن في الحقيقة أَحب محمد (صلى الله عليه وسلم) خديجة ولم يتخذ زوجة أُخرى شابة معها مع أَنَّ ذلك كان مقبولاً في أَعراف العرب[1].

والمستشرقون عموماً لهم نظرة مادية ينظر اليها من جهة واحدة وذلك من أَجل إِدخال السم في العسل والنيل من شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والنيل من الدين الإِسلامي والتشكيك فيه الَّذي اطَّلع على كتب السيرة النبوية يرى أَنَّ السيدة خديجة (رضي الله عنها) لم تتعرَّف على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) إِلَّا بعد أَن صار عاملاً في تجارتها وما اتَّصف به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من صدق وأَمانة لذلك عرضت عليه أَن يوكل في الذهاب بتجارتها إِلى بلاد الشام[2].

وذكرت المصادر العربية أَنَّ السيدة خديجة (رضي الله عنها) كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم وكانت قريش قوماً تجاراً فلما بلغها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما بغلها من صدق حديثه وعضم امانته وكرم اخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها إِلى الشام تاجراً وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فأطلع الراهب إِلى ميسرة فقال له ما هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أَهل الحرم فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إِلَّا نبي[3].

ثم باع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أَن يشتري ثم أَقبل قافلاً إِلى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة معي يزعمون إِذا كانت الهاجرة واشتد الحرب يرى ملكين يضلا له من الشمس هو يسير على بعيره

(1) اميل درمنغم، حياة محمد ،ص62.

(2) سعد عبدالله الماجد، موقف المستشرقين من الصحابة ، ص522.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ط1،187 .

فلمَّا قدم مكة على خديجة (رضي الله عنها) باعت ما جاء به فأضعف أَو قريباً [1]، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وكما كان يرى من اظلال الملكين إيَّاه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته فلمَّا أَخبرها ميسرة بما أَخبرها به بعثت إِلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت له فيما يزعمون يا بني عم إِنِّي قد رغبت فيك لقرابتك ومكانتك في قومك وأَمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها[2].

وهذا ما يؤكِّد كذب افتراء المستشرقين في إِنَّ مال خديجة (رضي الله عنها) وتجارتها قد أَثَّرت على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) برفع مكانته بين قريش، والصواب أَنَّه معروف (صلى الله عليه وسلم) بأخلاقه وأَفعاله الحميدة بين أَهله وأَسياد قريش وقد ذكر القران الكريم في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[3] أَمَّا عن الأَموال التي استفاد منها في عمله بالتجارة مع السيدة خديجة (رضي الله عنها) فقد كانت تبذل مالها في مواساة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في سبيل الدعوة وخاصة في بدايتها فقد جاء القران الكريم مخاطباً الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: (وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَىٰ)[4] أي أَنَّ الرسول كان فقيراً فأغناه بمال خديجة (رضي الله عنها) [5].

وقد ذكر الإِمام أَحمد في مسنده عن عائشة (رضي الله عنها) كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إِذا ذكر خديجة اثنى عليها ما أَحسن الثناء قالت فغرت يوماً فقلت ما اكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أَبدلك الله عز وجل حباً خير منها قال ما ابدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بي إِذ كفر بي الناس وصدقتني؛ اذ كذبني

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ط1 ،187ــ 188.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ط1 ،189.
(3) سورة القلم الاية 4.
(4) سورة الضحى الاية 8.
(5) الواحدي ، أبو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي النيسابوري، الوسيط في تفسير القران المجيد، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود دار الكتب العلمية (بيروت، 1994) ط4، ص511.

الناس وواستني بمالها اذ مرض الناس ورزقني الله عز وجل ولدها اذ حرمني أولاد النساء[1].

وذكر في دائرة المعارف ان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) استفاد من مال خديجة (رضي الله عنها) في الجهاد وتجهيز الجنود؛ إذ كتب المستشرقون وقالوا: (استعان النبي (صلى الله عليه وسلم) بمال خديجة في جهاده على أَنَّ خديجة كانت فيما يظهر ذات أَثر عميق في حياة زوجها)، وهذا افتراء على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في الاستفادة من مال خديجة في هذا الجانب؛ إذ إِنَّه (صلى الله عليه وسلم) لم يجهز أي جيش أَو عزوة وهو في مكة أي قبل الهجرة كما ادَّعى المستشرقون وبهذا نقول إِنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يستفد من مال خديجة (رضي الله عنها) في تجهيز الغزوات.

أَمَّا المستشرق سفاري فيتكلم عن كرم السيدة خديجة (رضي الله عنها) للمحتاجين فيقول: (ولقد جاءت النبي (صلى الله عليه وسلم) حليمة المرضعة ذات يوم تشكو اليه فقرها فرق لها قلبه وطلب من خديجة أَن تحسن اليها فأعطتها قطيعاً من أَربعين شاة عادت به حليمة سعيدة إِلى صحراء بني سعد) [2].

وهذا الكلام أَخذ من المصادر العربية؛ إِذ ذكرت (قدمت حليمة بنت عبدالله على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة وقد تزوج خديجة (صلى الله عليه وسلم) فاشتكت جدب البلاد وهلاك الماشية فكلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خديجة (رضي الله عنها) فيها فأعطتها ارعين شاة وبعيراً موقفاً للظعينة وانصرفت إِلى أهلها[3].

أَمَّا عن إِيمان خديجة (رضي الله عنها) فقد اجمع المستشرقون على أَنَّها كانت أَوَّل من آمن بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وصدقت برسالته السماوية

(1) بطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلامية (بيروت، د. ن) ،ص57.

(2) سفاري السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ،ص42.

(3) ابن سعد أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي الطبقات الكبرى تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت 1990)، ص92.

وكانت اول من ساند النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في نشر دعوته بين الناس فضلًا عن تخفيفها أعباء الرسالة السماوية لكنهم اختلفوا في أسباب إيمانها[1].

فيذكر المستشرق مونتجمري وات (لقد حازت خديجة (رضي الله عنها) السبق في ايمانها برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ودعوته ويرجع السبب في ذلك إلى العلاقة الزوجية بين خديجة (رضي اله عنها) والنبي (صلى الله عليه وسلم) وإلى عقل خديجة (رضي الله عنها) وخبرتها بالحياة وعلاقتها بابن عمها النصراني ورقة بن نوفل ومن المجمع عليه ان أَوَّل شخص أَسلم وآمن أَن وحي محمد (صلى الله عليه وسلم) من عند الله كانت خديجة تنم ذلك بتطوير طبيعة العلاقة بينهما الَّتي رويت بواسطة الروايات الموثوقة جداً لقد كانت خديجة شخصاً اكبر سناً من زوجها وتمتلك بعضاً من المعارف والخبرة في الشؤون العامة وكانت علاقتها جيدة مع ابن عمها المسيحي ورقة بن نوفل ومن المسلم به ايضاً انها كانت ذات عقل نشط وتشعر بالعناية إزاء المشكلات المعاصرة لمكة وهذا وقد كانت على استعداد لإراحة ودعم محمد)[2].

ويذكر نفس المستشرق في مكان اخر (هناك اتفاق تام على أَنَّ خديجة كانت اول من امنت بزوجها محمد (صلى الله عليه وسلم) ورسالته)[3].

ونلاحظ بما ذكره المستشرق مونتجمري وات أَنَّه جعل أَسباب عديدة في إيمان السيدة خديجة (رضي الله عنها) وهي أَنَّ العلاقة الزوجية بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وخبرة خديجة (رضي الله عنها) في أُمور الحياة العامة والعلاقة التي تربط السيدة خديجة (رضي الله عنها) بورقة بن نوفل ابن عمها والمساعدة التي قدمها ورقة بن نوفل جعلها تؤمن بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولكن نقول: إِنَّ أُم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) أَصغت للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بما أَخبرها في شأن الوحي وقد صدقت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم

(1) مونتجمري وات ، محمد نبي ورجل دولة ، ص50.

(2) مونتجمري وات ، محمد نبي ورجل دولة ، ص 57.

(3) مونتجمري وات، محمد نبي ورجل دولة ، ص172.

طمأنته وهدأت من روعه ثم بعد ذلك ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تخبره بما كان من شأن محمد (صلى الله عليه وسلم) وهنا نقول: إنَّ إيمانها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل الذهاب إلى ورقة بن نوفل أي أَنَّ إيمانها كان تصديقاً حقيقياً بالرسالة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم).

أَمَّا المستشرق امسترونج فرد على ذلك (أَنَّ إيمان وتصديق خديجة (رضي الله عنها) بالنبي (صلى الله عليه وسلم) جاء عن رغبة حقيقية دون شرط أَو قيد فقد آمنت خديجة وأَبناؤها علي وزيد بنبوته إيماناً غير مشروط[1] كما يؤكد مستشرق توماس كارليل على موقف خديجة (رضي الله عنها) وتصديقها وتثبيتها فيذكر (ويخيل إلينا أَنَّ الصالحة خديجة أَصغت إليه في دهشة وشك ثم آمنت، وقالت: إي وربي إنَّه الحق وتتوهم أَنَّ محمد شكر لها ذلك الصنيع ورأى أَن إيمانها بكلمته المخلصة المقذوفة من بركات صدره جميلاً يفوق كل ما أَسدت إليه من فإنَّه ليس أَروح لنفس المرء ولا أَثلج لحشاه من أَن يجد له شريكاً في اعتقاده ثم أَنَّه لصنيع ونعمة وفيرة ولذلك ما انفكَّ محمد (صلى الله عليه وسلم) يذكر خديجة حتى لقي ربَّه[2].

وكذلك يذكر المستشرق ول ديو رانت عن إيمان خديجة (رضي الله عنها) (آمنت خديجة (رضي الله عنها) بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وساندته على إعلان رسالته للناس، ولما عاد إلى خديجة (رضي الله عنها) حدثها بما رأى وتقول الرواية انها امنت بأن ما رأى وحي صادق من السماء وشجعه على أَن يعلن للناس رسالته)[3].

وقد ذكر في المصادر العربية عن إيمان خديجة (رضي الله عنها) (وامنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاء من الله ووازرته على أَمره وكانت أَوَّل من آمن بالله وبرسوله وصدقت بما جاء منه فخفف الله عن نبيه (صلى الله عليه وسلم)

(1) كارين امسترونج ، محمد نبي لزماننا ، ص49.
(2) منتجمري وات ، محمد نبي ورجل دولة ، ص172.
(3) ول ديور انت ، قصة الحضارة ، ص13-25.

لا يسمع شيئًا مِمَّا يكرهه من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك إِلى فرج الله عنه فيها إِذا رجع إِليها تثبته وتخفف عليه وتهون عليه أَمر الناس[1].

الخاتمة

1- أَخذ المستشرقين كتاباتهم وخاصةً على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وسيرته في كتب التاريخ والتراجم وأَخذهم الروايات الضعيفة والموضوعة واستغلوا ذلك في بناء تخيلاتهم الخبيثة.

2- غالى المستشرقين في كتاباتهم عن السيدة خديجة (رضي الله عنها) وحاولوا تحريف الجزاء الأكبر منها.

3- النظرة المادية والاقتصادية البحتة في كتاباتهم فضلًا عن الكذب والافتراء عن السيدة خديجة (رضي الله عنها) والرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ولاسيَّما أَنَّهم قد بالغوا في كتاباتهم عن تجارة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد زواجه منها.

4- أراد المستشرقين النيل من الدين الإِسلامي ومعتقدات المسلمين وثوابتهم ومنها محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من زوجاته أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن).

5- الكذب والافتراء على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أَنَّه استفاد من مال خديجة (رضي الله عنها) في حروبه وتجهيز الجيوش وهو في داخل مكة.

6- إِلَّا أَنَّ بعض المستشرقين كانت لهم مواقف محايدة مع الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والسيدة خديجة (رضي الله عنها) إِلَّا أَنَّها لم تسلم من الخطأ إِن كان مقصودًا أَو غير متعمدًا.

References

- Bodley, The Messenger Muhammad, translated by Muhammad Faraj Jawad Al-Sahar, The Arabic Book in Egypt, Royal Press of Egypt,

(1) ابن هشام، السيرة النبوية ، 1 ، 240 .

- Bodley, The Prophet Muhammad, Lalas 78.
- Atin Dinah, Muhammad is the Messenger of God, translated by Abdul Halim Mahmoud, Library of Faith,
- Thomas Carlyle, The Heroes, translated by Muhammad al-Sibai, Library of Egypt, 3rd edition.
- Karen Armstrong, Muhammad is a Prophet for Our Time, translated by Faten Al-Zalbani, Al-Shorouk Bookshop, 1st edition.
- Al-Dhahabi Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz, The Life of the Nobles, (Cairo, 2006).
- Emile Drummingham, The Life of Muhammad, translated by Adel Zuaiter, Dar Al-Alam Al-Arabi, I, p. 169.
- Emile Drummingham, The Life of Muhammad, p. 168.
- Al-Dhahabi, Sir Al-Nubala's Flags, 2nd edition, p. 112.
- Safari, The Biography of the Prophet and How the Orientalists Distorted It, Translated by Muhammad Abdul-Azim, Investigated by Abdul-Mu'taal Al-Jabri, Dar Al-Da'wah, 1st Edition (Dan, 1414 AH), p. 42.
- Al-Bukhari Muhammad bin Ismail Abu Abdullah, Sahih Al-Bukhari, the comprehensive, the authentic and abbreviated Musnad of the affairs of the Prophet (peace and blessings be upon him), his Sunnah and his days, Dar Touq Al-Najat, I, 1422 AH, 2432, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushairi Al-Nisaburi, Sahih Muslim Al-Musnad Al-Sahih The summary conveys justice in justice to the Messenger of God 2222, investigation by Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Revival of Arab Heritage (Beirut, Blood), Hadith No. 2435.

- Al-Qurtubi, Diaa al-Din Ahmed bin Omar bin Ibrahim Abu al-Abbas (d. 656 AH - 1258 AD), Al-Ilam, including corruption and delusions in the Christian religion, p. 1379 AH) p. 7, p. 137.
- Surah Al-Muddaththir verse 1, 5.
- Ibn Hajar Al-Asqalani, Fath Al-Bari Explanation of Sahih Al-Bukhari, 7/133.
- Ahmed Al-Shintnawi and others, Summary of the Circle of Islamic Encyclopedias, I, Sharjah Center for Intellectual Creativity, p. 4572.
- Atin Diniyeh, Muhammad is the Messenger of God, pg. 105.
- Safari Biography of the Prophet and how the orientalists distorted it, translated by Muhammad Abdel-Azim, Dar Al-Da`wah (Dan, 1414 AH).
- Karen Armstrong, Muhammad is a Prophet for Our Time, translated by Faten Al-Zalbani, 1st edition, Al-Shorouk Library, p. 37.
- Washington, Irving Muhammad and his successors, translated by Hani Muhammad, 1st Edition, Arab Cultural House Library.
- Montgomery Watt, Muhammad the Prophet and a Man of State, translated by Hamoud Samoud, 1st edition, Dar Al-Takwin (Dunn, 2014),
- Gustav, Civilization of the Arabs, translated by Adel Al-Zuaiter, 1st edition, the Egyptian General Book Authority, 105.
- Eten Denieh, Muhammad is the Messenger of God, p. 105.
- Bodley the Messenger Muhammad 307
- Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Muhammad ibn al-Hajj Noah ibn Najati ibn Adam al-Ashqodri, The Series of Authentic Hadiths, Al-Ma’arif Library (Dan, Riyadh), 1st edition, pg. 424.

- Al-Nawawi, Abu Zakariya Yahya bin Sharaf Al-Hazami (631 AH-1233 CE) (676 AH-1277 CE), Explanation of the Forty Nuclear Investigations: Ali Ahmed Abdel-Al, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya (Beirut, 1971), p. 146.
- Thomas Carlyle, Muhammad the Ideal, translated by Muhammad al-Sibai, Al-Adai Library (Dunn, Cairo), p. 75.
- Atin Diniyeh, Muhammad is the Messenger of God,
- Karen Armstrong, Muhammad, The Prophet of Our Time.
- Will Urant, The Story of Civilization, translated by Zaki Naguib Mahmoud and others, Dar Al-Jil (Beirut 1988).
- Al-Bukhari, Sahih Al-Bukhari, 5th edition 39.
- Ibn al-Qayyim al-Jawzi, Zad al-Maad fi Huda Khair al-Abbad, Al-Manar Islamic Library (Kuwait 1994), 1st edition.
- Ibn Hajar Al-Asqalani, Fath Al-Bari Explanation of Sahih Al-Bukhari, vol. 7..
- Emile Drummingham, The Life of Muhammad 154.
- Surah Ibrahim verse 37.
- Brockelmann, History of the Islamic Peoples, translated by Nabih Amin Zuaiter Al-Baalbaki, 1st edition (Dar Al-Ilm for Millions, p. 33.
- Ibn Hisham, Abd al-Malik bin Hisham bin Ayoub al-Habari al-Ma'afari, The Prophet's Biography, investigated by Mustafa al-Sakka and others, 2nd edition (Egypt 1955), 1st edition, p. 88.
- Atin Diniyeh, Muhammad is the Messenger of God, pg. 96.
- Saad Abdullah Al-Majid, The Orientalists' Position on the Companions (Dan, 1425 AH), pg. 521.
- John Globe, Great Peoples, Arabization of Khairy Hammad (Egypt, Den), p. 59.

- Saad Abdullah Al-Majid, The Orientalists' Position on the Companions, pg. 522.
- Surah Al-Qalam verse 4.
- Surat Ad-Duha verse 8.
- Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Nisaburi, Al-Waseet in Interpretation of the Glorious Qur'an, investigation: Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, Dar Al-Kutub Al-Alami (Beirut, 1994), 4th Edition, p. 511.
- Boutros Al-Bustani, Circle of Islamic Encyclopedias (Beirut, Dr. N), p. 57.
- Ibn Saad Abu Abdullah Muhammad bin Saad bin Manea Al-Hashemi Al-Baghdadi, Al-Tabaqat Al-Kubra, investigated by Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1st Edition (Beirut 1990), p. 92.
- Well Dior You, The Story of Civilization, pp. 13-25.

The attitude of the Orientalists towards Khadija (may Allah be pleased with her)

Saadi Muhammad Ali Kasban *

Abstract

Orientalists had long lines in writings about the Mother of Believers, Khadija, because of the long period she lived with the Messenger (Allah bless him and grant him peace). In addition to her high status, she was a tender woman, a good wife and a great mother to the children of the prophet Mohammed (Allah bless him and grant him peace). Some orientalists were fair with her in their writings as they took their information from the biography of the prophet Mohammed (Allah bless him and grant him peace) ,historical sources and other books.

* **Asst.Prof / Department of History / College of Arts / University of Mosul.**

Others slandered lies on her in order to defame the prophet Mohammed (Allah bless him and grant him peace). In addition they had purely an economic view that the marriage from Khadija was for interest and the high status prophet Mohammed (Allah bless him and grant him peace) got in Quraish and this is simply is a lie and slander by some orientalists.

Key words: biography, status, wife.